مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 15 العدد1 (السداسي الأول 2023م)
ص. 543- 572

جغرافية الأديان بين إشكالية المصطلح والمقاربات المنهجية

The geography of religions between the problematic of the term and the methodological approaches

بن باليط عيسى*
جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية (الجزائر)
a.benbalit@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2022/01/31 تاريخ القبول: 2023/01/29 تاريخ النشر: 2023/03/30

ملخص:

موضوع الدين موجود في تخصصات عديدة كعلم الاجتماع والفلسفة وحتى الاقتصاد والجغرافيا، نتيجة لذلك تنوعت مناهج دراسة الدين بمختلف عناصره، ومن جانب آخر احتفظت الدراسات الدينية بخصوصياتها المرتبطة بمنظومات علوم الأديان داخل كل فضاء ديني.

وبظهور مناهج البحث في العلوم الإنسانية أصبح الدين مادة خصبة للدراسة والبحث خلال زوايا معرفية متعددة من بينها جغرافية الأديان التي تهتم أساسا في بحث تأثير المنظومة الدينية على النطاق الجغرافي الذي يعيشه الانسان وتأثير الخصائص الجغرافية على الدين بعناصره.

تكمن إشكالية هذه الدراسة في البحث عن العلاقة التي تحصل بين الثنائيتين (الدين والجغرافيا)، بالإشارة إلى أهمية هذه الدراسة في حفرها في أصول و أبعاد و تاريخ مصطلح جغرافية الأديان ويرتبط مع ما سبق ضرورة وبيان أهم المقاربات الجغرافية للدين و علاقة مصطلح "المقدس " الذي يُعتبر مصطلحا مفتاحيا في الدراسات الدينية والدراسات الجغرافية للكتاب المقدس، حيث كان السؤال المركزي يدور حول صحة المعلومات الجغرافية الواردة في الكتاب المقدس، مع استحضار إشكالية نسبية المعلومات الموجودة في كتب الجغرافيا "العلمانية" و نسبية علم الجغرافيا.

أما في الفضاء الإسلامي مازالت المكتبة شحيحة في تناول مواضيع لها علاقة بالعلاقة بين الجغرافيا والإسلام تأثيرا وتأثرا.

الكلمات المفتاحية: الدين، الجغرافيا، جغرافية الأديان، المقدس، مقاربات جغرافية.

* المؤلف المرسل

Abstract:

With the emergence of humanities and scientific curricula in the modern and contemporary period, through which a group of disciplines emerged, in which religion was a major subject of research and study, its purpose was not to study religion as a theological study, but rather to study it from multiple views.

The problematic of this study arises in the examining of the relationship that occurs between the two binary (religion and geography), indicating the importance of this study as it is exposed to the history of the term geography of religions, and an indication of the most important geographical approaches to religion and the relationship of the term "sacred" which is considered an important term in religious studies and critical studies of The Bible, linking this to the importance of the discipline of the geography of religions and the scarcity of this kind of studies in the Islamic world.

Keywords: Geography; Religion; Geography of religion; Sacred; Geographical appraoches.

مقدمة:

خلال رحلة الانسان العلمية ظهرت مناهج عديدة ساهم فيها تطور العقل البشري كما ساهمت تلك المناهج بمساعدة العقل البشري في اكتشاف زوايا جديدة لمختلف المواضيع ومختلف مجالات العلم، من ساحات هذه الرحلة ما انطوى تحت مسمى الفصل بين المناهج تبعا للمجالات والمواضيع أي ضرورة الفصل بين الموضوع الديني والموضوع العلمي، وبهذا انقسمت المناهج إلى ما يخص العلوم الإنسانية والاجتماعية وما يخص العلوم الأخرى من دقيقة وطبيعية ولكن هناك أيضا فلسفة العلم التي وظيفتها تقييم نتائج هذه العلوم بأبعادها المعرفية المتعددة.

يعتبر الدين منظومة متعددة العناصر تم دراسته من خلال مناهج عديدة وفي هذه الدراسة تم التركيز على الجغرافيا الدينية أي الجغرافيا المقدسة التي تنتجها الأديان وجغرافيا الأديان أي دراسة الجوانب الجغرافية في الأديان بآليات ومناهج علم الجغرافيا بفروعه الذي ظهر وتطور "علمانيا "

أدت نتائج بعض الدراسات إلى ظهور نظريات جغرافية بخصوص انتشار الأديان وجغرافياتها إلى ضرورة بحث العلاقة بين الجغرافيا والدين، كونهما مرتبطين بالعامل البشري الذي يتحرك في إطاره الجغرافي وفق دوافع نفسية واجتماعية ودينية متعددة تجعله يُشكل نطاقه الجغرافي وفقها.

البحث والاستقصاء يؤدي إلى طرح إشكالية الدراسة، بحيث هل يمكن اعتبار جغرافية الأديان مجالا يكشف عن العلاقة بين الجغرافيا والدين وما هو مدى التفاعل بينهما خاصة إذا أضيف للجغرافيا عنصر آخر هو العنصر المقدس؟

فرضيات الدراسة:

1_ جغرافية الأديان مجال يختص بدراسة المعلومات الجغرافية الواردة في المصادر المقدسة للأديان (الكتاب المقدس، القرآن الكريم، الفيدا،...) والدراسات الدينية لهذه الأديان (التفاسير بمختلف خلفياتها الدينية والمعرفية) بحيث يهتم هذا المجال بتحليل ونقد المادة الجغرافية التي يحتويها الدين عامة ومن جانب آخر ضرورة استحضار نسبية هذا المجال المعرفي و ضرورة المراجعة الدائمة لهذه الدراسات بحيث لا يمكن أن تكون حكما مطلقا عليها.

2_ المقاربات الجغرافية في تفسير نشأة الأديان واختلاف مسلماتها المعرفية يؤدي إلى اختلاف نتائج هذه الدراسات ونسبيتها ومن جانب آخر يؤكد مسألة التشعب المعرفي الثري الذي يمتاز به موضوع الدين وعلاقته بالإنسان ومحيطه الجغرافي.

أهدف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

1_ رصد تاريخ ونشأة مصطلح جغرافية الأديان وأهم ما ألف في هذا المجال.

2_ الإشارة إلى مصطلح الجغرافيا المقدسة وعلاقته بالدراسات النقدية للكتاب المقدس.

3_ عرض بعض النماذج الإسلامية التي تناولت موضوع جغرافية انتشار النبوة مع ربطها بالمقاربات الجغرافية.

4_ الوقوف على أهم المقاربات الجغرافية في تفسير نشأة الدين والإشارة إلى بعض نماذجها وأهم أقطابها.

أهمية الدراسة: يمكن إجمال أهمية الدراسة وفق العناصر الآتية:

1_ كونها تجمع بين مجالين واسعين هما الدين والجغرافيا بحيث نادرا ما نجد دراسات تعالج هذا الموضوع.

2_ مجال جغرافية الأديان هو مجال يجمع بين الإطار النظري والتطبيقي في البحث ما يجعله تخصصا مهما للدراسة والتوسع فيه

3_ التفاعل بين العامل الديني والعامل الجغرافي وعلاقته بالإنسان يُعد موضوعا مهما في الدراسات الحديثة وموضوع بحث جديد بالنسبة للعالم الإسلامي.

منهج الدراسة:

ستعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي:

بحيث أن المنهج الوصفي يقوم على وصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة من خلالها يتم تصوير نتائجها بشكل دقيق يمكن تفسيرها.

أما المنهج التحليلي فيهدف إلى تحليل المحتوى الظاهري أو المضمون الصريح للظاهرة المدروسة وتحليلها تحليلا موضوعيا ومنهجيا.[1]

وعليه يتجلى الجانب الوصفي في هذه الدراسة في أنها تعرض تاريخ مصطلح جغرافية الأديان ونشأة هذا المجال حسب المراجع المعتمدة فيه، أما المنهج التحليلي فسيكون في تحليل المقاربات الجغرافية في تفسير الدين تحليلا موضوعيا.

الى جانب هذا المنهج تم الاستفادة من بعض آليات وعناصر المنهج النقدي في قراءة المقاربات الجغرافية للدين.

هيكل الدراسة:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على نظام المباحث والمطالب

جاء المبحث الأول عن: جغرافية الأديان المصطلح والنشأة، والمراحل التاريخية المؤسسة لمجال جغرافية الأديان . وتفرع المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: جغرافية الأديان المصطلح والنشأة.

المطلب الثاني: المراحل التاريخية المؤسسة لمجال جغرافية الأديان.

المبحث الثاني: الجغرافيا المقدسة والمقاربات الجغرافية للدين. تضمن المبحث مطلبين هما:

المطلب الأول: تاريخ مصطلح الجغرافيا المقدسة.

المطلب الثاني الدين من خلال المقاربات الجغرافية.

وجاءت الخاتمة اجابة عن الفرضيات التي سبق ذكرها.

[1] محمد سرحان علي المحمودي، مناهج البحث العلمي، دار الكتب، صنعاء، ط3، 2019.

المبحث الأول: جغرافية الأديان المصطلح والنشأة، والمراحل التاريخية المؤسسة لمجال جغرافية الأديان:

المطلب الأول: جغرافية الأديان المصطلح والنشأة:

قبل أن تطرق الدراسة إلى بيان المقصود من مصطلح جغرافية الأديان فيتعين الوقوف مع المصطلحين الذي يتكون منهما هذا المركب الإضافي (جغرافية الأديان)، وذلك بعرض تعريف لمصطلح الجغرافيا ومصطلح الدين باعتبارهما موضوع هذه الدراسة.

التعريفات تختلف باختلاف زوايا النظر والبحث في حين ستكتفي الدراسة بعرض بعضها لكي تتضح الصورة.

أولا مصطلح الدين:

لا يخفى على الباحث في الأديان أن هذا المصطلح يُعد إشكالا في بحوث علم الأديان، بحيث أن مصطلح الدين عرف تعريفات عدة ومتعددة، أحيانا ما تكون متناقضة فيما بينها وغالبا ما يُكمل بعضها بعضا.

يرجع ذلك إلى سببين رئيسيين هما طبيعة البحوث التي تصب في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، بحيث ان تنوع مناهج البحث فيها يؤدي لا محالة إلى الاختلاف في النتائج، أما السبب الثاني فيعود إلى تشعب العنصر الديني في حياة الإنسان فالدين عنصر يؤثر في النفس والمجتمع وبل حتى الاقتصاد والجغرافيا وغيرها من المجالات.

جاء في كتاب الدين لـ "عبد الله دراز" ما يلي: « .. كلمة دين تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه "دانه يدينه"، ومن فعل متعد باللام "دان له" وتارة من فعل متعد بالباء "دان به" وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة... »[1]

ومن خلال الصورة المعنوية التي تعطيها كل صيغة حسب "عبد الله دراز" فإن الدين يُعبر عن حالتين أولهما الحالة النفسية (Etat subjectif) والتي يُصطلح عليها بالتدين، أما الثانية فهي الحالة الخارجية (Fait objectif) ومعناها جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقادا أو عملا وهو ما يسمى بالمذهب.[2]

[1] عبد الله دراز، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم الكويت، مطبعة الحرية، بيروت، ص30.

[2] المرجع نفسه، ص 30، 31.

قد يكون هذا التعريف قد أشار إلى عنصرين مهمين في دراسة الأديان وهما:
عنصر التدين الذي قد يُعبر عن الدين بمعنى من المعاني لكن لا يعبران عن نفس المدلول.
أما الثاني فهو المذهب أو العقيدة التي تتشكل عبر مراحل تاريخية معينة لكي تصل إلى قالبها الاخير.

الخلفية الإسلامية لتعريف الدين عند "عبد الله دراز" تظهر بشكل واضح إذا ما ربطناه بنظرية الإيمان في التراث الإسلامي(الايمان تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان)، رغم أنه فرق بين مسألتين مهمتين في مجال علم الأديان (الدين، والتدين) ومن جهة أخرى ربطه للمعاني اللغوية التي جاءت بالعربية مع تعريفه الاصطلاحي وهذا قد يختلف عن اللغات الأخرى.

فمصطلح الدين مثلا في اللغات الأوروبية الحديثة الذي هو (Religion) يُستخدم للإشارة إلى المفاهيم المتعلقة بالاعتقاد في الإله أو الآلهة والذوات الروحانية الأخرى أو الشؤون الأساسية التي لا تدركها الخبرة البشرية.[1]

يُبين هذا المصطلح طبيعة الأديان التي كانت سائدة في أوروبا حيث يعترض بعض الباحثين في الشرق الأقصى على هذا المصطلح لأنه لا يُعبر عن الحكمة الشرقية وطبيعتها، فمثلا البوذية لا تعتبر الاعتقاد بالإله مسألة مركزية في حياة الانسان ولهذا يتعارض وصفها بكونها ديانة أي (Religion)، فجغرافية اللغة لكل منطقة إن صح التعبير تختلف من مكان إلى آخر ولهذا يجدر دائما في الدراسات العلمية للأديان احترام خصوصية النصوص الدينية ولغتها وعدم إضفاء المفاهيم التي هي ليست من دائرتها.

بظهور مناهج العلوم الإنسانية الحديثة أصبح الدين مادة خصبة للدراسة والبحث، أين عكف العديد من الباحثين والعلماء من خلفيات دينية ومعرفية وإيديولوجية مختلفة إلى دراسة بواعث الظاهرة الدينية من خلال العديد من الجوانب، ما أدى إلى بروز اتجاهات عديدة تُفسر أسباب نشأة الأديان ونظريات متعددة تسمى بـ" Theories of religion" .

[1] هينليس جون، معجم الأديان الدليل الكامل للأديان العالمية، ترجمة هاشم أحمد محمد، ط1، 2010، ص640.

جاء في الموسوعة التي أشرف عليها بروفيسور الأديان المقارنة جون هينليس (و1941_ تـ 2018) المعنون بـ: (The Routledge companion to the study of religion)

كتب الأكاديمي" كريس بارك" (Chris park) في الفصل الخامس والعشرون من الكتاب والذي يُعدا مرجعا أساسيا في مجال جغرافية الأديان ما يلي:

«… a theory of religion is an answer to at least two questions: what is the origin and what is the function of religion? The term 'origin' is confusing because it can refer to either the historical or the recurrent beginning of religion. It can refer either to when and where religion first arose or to why religion arises whenever and wherever it arises According to convention.. »[1]

ومعنى النص المقتبس ما يلي:

1_ نظرية نشوء الدين تقدم إجابة على الأقل لسؤالين مركزيين هما ما أصل الدين وماهي وظيفته؟

2_ مصطلح أصل (origin) إما يُقصد به البداية التاريخية لديانة معينة أو قد يُقصد به المكان الأول الذي ظهر فيه هذا الدين ولماذا حتى ظهر في فترة معينة ومكان معين حسب المتفق عليه.

ليس هناك طرح لمثل هذا النوع من الإشكالات في كتب علماء الدين بحيث يُقابل هذا الطرح ما يُسمى بمركزية النبوة والوحي الإلهي وأن سؤال أصل الظاهرة الدينية حسب التراث الديني لم يُعالج بنفس الطريقة التي طرحتها الدراسات المعاصرة للدين (جدلية المصدر الإلهي للأديان)

يمكن التمييز بين المقاربات التراثية (الدينية) والدراسات الحديثة في موضوع الأديان على الشكل الآتي:

1_ المقاربات التراثية للأديان تتمحور على مركزية الوحي الإلهي أو النبوة خاصة في اليهودية، المسيحية والإسلام، وغالبا ما تكون دفاعية.

2_ الدراسات الحديثة للأديان تتمحور على مركزية الإنسان مقابل الظاهرة الدينية التي هي محكومة بالظروف البشرية مما يستدعي دراستها وفق مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية.

[1] Jhon.R Hinnells,The Routledge companion the study of religion ,Routledge Taylor and Francise Groupe, 270 Madison Ave, New York,2005, P.49.

تركز الدراسات الحديثة على ضرورة التمييز بين مرحلتين مهمتين في تاريخ دراسة الأديان في الغرب.

المرحلة الأولى: تبدأ من القرن التاسع عشر والتي كانت تتمحور في البحث عن أصل الظاهرة الدينية وتاريخها، من خلالها برزت العديد من نظريات نشوء الدين مثل النظرية الأنثروبولجية في أصل الأديان وغيرها.

المرحلة الثانية: تمتد من أواخر القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين بحيث أن معظم الدراسات كانت تهتم بالجانب الوظيفي للأديان.[1]

يُقصد بوظيفة الدين بمعنى رصد تأثيراته من الناحية النفسية أو الاجتماعية للإنسان بل حتى تأثيراته من الناحية الاقتصادية ولا ننسى كذلك وظيفته في التأثير على البيئة والجغرافيا الذي هو موضوع هذه الدراسة.

ثانيا الجغرافيا: لكل علم بداياته فعلم الجغرافيا حسب تاريخ العلوم لم يظهر في التاريخ مكتمل المنهج ومحدد الوسائل بل مرّ بمراحل تاريخية مهمة.

جاء التأريخ لهذه المراحل كما يلي:

المرحلة الأولى: ظهرت فيها ممارسة الجغرافيا كنوع من المعرفة غير منضبط المنهج والوسائل إلى **الحضارات القديمة** (حضارة بلاد الرافدين، مصر، المايا..)، وذلك من خلال تدوين أسماء المدن ووصف الأماكن ورسم بعض الخرائط.

المرحلة الثانية: عرف هذا النوع من المعرفة تطورا تزامنا مع اكتشاف كروية الأرض وظهور شخصيات جغرافية مهمة في الحضارة الإغريقية.

المرحلة الثالثة: خلال الحضارة الإسلامية تم تشجيع حركة الترجمة حيث اهتم العلماء المسلمون بهذا المجال فألفوا فيه الكتب ورسموا الخرائط وبل عقبوا على جغرافية الإغريق.

المرحلة الرابعة: في عصور النهضة تُرجمت المؤلفات الإسلامية والاغريقية إلى اللاتينية كما اشتهر العلماء الألمان كعلماء رياضيات وخرائط وظهر ما يُسمى بالرحلات الجغرافية.

---

1 Jhon.R Hinnells, Op.cit p49.

المرحلة الخامسة: في الفترة المعاصرة وفيها تشعبت الدراسات الجغرافية إلى قطاعات فاقت الجغرافية الطبيعية والبشرية مطبقة أساليب علمية كالعلوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية والاقتصادية.[1]

تجدر الإشارة كذلك إلى كون العنصر الديني عنصرا باعثا ودافعا رئيسيا في الممارسة الجغرافية ذلك إذا ربطنا تطبيقات الجغرافيا وأهدافها، حيث أن التاريخ يؤكد محورية الدين في الرحلات الجغرافية التي كانت لها صلة وثيقة بالكنيسة ورغبتها في نشر المسيحية (الحركة التبشيرية المسيحية وعلاقتها بالكشوفات الجغرافية).

جاء في القاموس الإنجليزي: " Oxford Learners Pocket Dictionary" عن المعنى اللغوي للجغرافيا ما يلي:

Geography :
1-study of the earth,s surface, Climat, Countries, poupulation, etc …
2- Arrangement of features in partucular region.[2]

يُمكن إيراد معاني النص المقتبس كما يلي:

1_ تهتم الجغرافيا بدراسة سطح الأرض والمناخ، البلدان أو السكان.

2_ تدرس الجغرافيا أقاليم المناطق الجغرافية وتُبين أهم مميزاتها.

يشتمل التعريف على إشكال في كون الاشتقاق اللغوي الذي يعني وصف الأرض يتعارض مع علم الجيولوجيا الذي يختص كذلك في تفسير ووصف الأرض لكن التمييز بينهما في كون علم الجغرافيا علما بشريا خلافا للجيولوجيا الذي هو علم طبيعي.[3]

الحركة التي تحكم المناطق الجغرافية ليست مقتصرة على الظواهر الطبيعية التي تعمل على التغيير والتأثير في جغرافية المكان كما يعتقد البعض، بل يتعدى ذلك إلى العنصر البشري الذي يُعد سببا رئيسيا في التأثير والتأثر بجغرافية المكان.

1 بيار جورج، معجم المصطلحات الجغرافية، ترجمة محمد الطفيلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2002، ص255،257.

2 Oxford Learners Pocket Dictionary ,Oxford University Press ,Fourth Edition P184.

3 بيار جورج، مرجع سابق، ص254، 255.

يبدأ موضوع تفاعل الجغرافيا والانسان بظهور ما يُسمى بالجغرافيا البشرية التي تختص في وصف ودراسة هذا التفاعل الواقع بينهما، حيث تذهب الدراسات الجغرافية إلى أن تنوع العلاقات الإقليمية على سطح الأرض لا يمكن اختزاله مما تنتجه الطبيعة من ظواهر متعددة تؤثر في سطح ومناخ الأرض، بل السبب الرئيسي يعود إلى التفاعل بين العوامل الطبيعية والعوامل البشرية (العوامل الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية...) فيما بينها.[1]

يندرج في هذا الحقل العلمي الذي هو الجغرافية البشرية مجال يُسمى بجغرافية الأديان التي تهتم في بحث العلاقة التي تحكم الجغرافيا والدين، فعلى ماذا يقوم هذا المجال وماهي الجوانب التي يهتم بدراستها؟

ثالثا جغرافية الأديان كمصطلح يُعبرعن تخصص معرفي:

اهتم الباحثون بموضوع جغرافية الأديان ومدى تأثير الرؤية الدينية في أعمال الجغرافيين سواء من جهة بيان التأثير الواقع بين المُمارس للجغرافيا، الذي يجب أن نفترض أساسا أنه يُمثل كتلة من التفاعلات النفسية والاجتماعية والثقافية والدينية وبين الجغرافيا التي تفرض نفسها في الواقع الخارجي.

ذهب الأكاديمي "ليلي كونغ"(Lily kong) في مقالة علمية في معهد المعرفة من جامعة سنغافورة إلى أن الأفكار الدينية للإغريق دائما ما تنعكس في النماذج الكوزمولوجية والرسومات البيانية وخرائط العالم التي كان يرسمها الجغرافيون، ففي المرحلة الإغريقية مثلا نجد صانع الخرائط والجغرافي "أنكسيماندر" (Anaximander) يُؤكد على هذا المعنى معتبرا أن رسم الخرائط ما هو إلا مجرد تجلي للمبادئ الدينية للجغرافي التي هي موجودة في عقله على خرائطه .[2]

فرسام الخرائط دائما ما تُعبر خرائطه عن شخصيته وفلسفته في رؤية العالم، وبعبارة أخرى كيفية تمثُل الواقع الجغرافي الخارجي في ذهنه.

فالجغرافي في المراحل القديمة لم يكن يريد من ممارسته للجغرافيا أن يصف أو يدرس الواقع الخارجي بقدر ما أراد أن يُشكل الواقع كما يراه.

---

[1] Chris park ,Religion and geography, Routledge companion to the study of religion London :routeledge ,2004,Chapter17, p1.

[2] Lily Kong,Geograohy and Religion :Trends and Prospects, Institutional knowledge at Singapore Management university ,September,1990 ,p2.

يدل على ذلك الإشكالية التاريخية التي تخص مسألة مركزية الأرض بالنسبة للكون، فالفكرة أساسا تعود جذورها إلى الأديان لكن ما لبثت حتى انتقلت هذه الفكرة الدينية من الحيز الديني إلى الحيز الجغرافي لنجد طرقا جغرافية تحاول الاستدلال على شرعيتها.

وصل الأمر بالإغريق إلى تأسيس قسم جديد في الجغرافيا يُسمى بالجغرافية الفلكية وهذه الأخيرة تهتم أساسا بمسألة مركزية الأرض بالنسبة للكون.[1]

الأفكار الدينية دائما ما تنال حيزا كبيرا في العقل الممارس للجغرافيا، وغالبا ما تعيد تشكيل الواقع عنده وترتيبه حسب تلك الأفكار، فهو لا يرى العالم كما هو، بل يرى تمثيلات أفكاره في هذا العالم.

تنبه المتخصصون في علم الجغرافيا إلى هذه الإشكالية ما فرض إعادة بناء مناهج علمية صارمة بحيث تضمن لهم دراسة الواقع الجغرافي كما هو، وخلال هذه المناهج برز مصطلح جغرافية الأديان (Geography of Religion) ومصطلح الجغرافية الدينية (Religious Geography) الغرض منها تنظيم المعرفة الجغرافية وتمييزها مما هو ذاتي عن الموضوعي.

أ/ جغرافية الأديان:

يدرس الجغرافيون الأديان بطرق عديدة منها:

1_ فحص المناطق التي تشكلت بفعل المؤثرات الدينية ثم بحث العلاقة بين الأديان والسكان وكذلك ما يسمى بتأثير الدين في طبيعة الأرض وشكلها.

2_ تأثير الجغرافية نفسها في الأديان ومواضيع عديدة مثل الدين والنظام البيئي، الدين والهوية .[2]

الدراسة الجغرافية للدين لا تعني دراسة لاهوتية لها حيث تقول القاعدة « Gegraphers are not theologians» بمعنى الجغرافيون ليسوا لاهوتيين فهم يدرسون العناصر الدينية التي لديها دلالات جغرافية.[3]

---

[1] عبد الله عطوي، الجغرافية البشرية صراع الانسان مع البيئة من الانسان القرد إلى الانسان العاقل، دار النهضة العربية، ط1996، بيروت، ص15.

[2] Derek gregory and others,The dictionary of Human Geography, Wiley Blackwell publishing, printed in sangapor, in 2009,p642.

[3] Binjamin F. Timms.B.A,M.A, Geography G110 introduction to Human geography,Indiana University, School of continuing studies indepndent study program,2004 , p46.

القاعدة لاتعني ألا يكون للجغرافي معرفة بماهية الدين المراد دراسته من الناحية الدينية أو التاريخية، بل وظيفته كجغرافي هو كشف وفحص العناصر الجغرافية في الدين باعتباره أي الدين جزءا رئيسيا في المنظومة الثقافية ومحددا رئيسيا لأسلوب الحياة.

جاء التعريف بمجال جغرافية الأديان كتخصص معرفي في المصادر الغربية وفق ما يلي:

« ..a simple definition of the geography of religion offered by a church historian not a geographer is : the description and analysis of religious phenomena in terms of the science of geography .. »[1]

التعريف بجغرافية الأديان يتمثل في أنها وصف وتحليل للظاهرة الدينية من خلال مصطلحات علم الجغرافيا، بمعنى تفسير الظاهرة الدينية والعناصر المشكلة لها من خلال أدوات ومناهج علم الجغرافيا.

يظهر من خلال هذا التعريف عنصرين:

أولاً مصدر هذا التعريف: وهو من مؤرخ مسيحي(مُبشر) يُدعى "دايفيد بايريت" (David Barett).[*]

ثانيا: التعريف رغم كونه من مؤرخ وليس جغرافي لكن مهمته كمبشر في إفريقيا يكون بالتأكيد وقوفه على معارف جغرافية كبيرة تجعله يقترح تعريفا يتضمن نوعا من البساطة والدقة في التعبير.

ذهب بعض الجغرافيين إلى ضرورة التمييز بين ما يُسمى بجغرافية الأديان كم بيَّنا سابقا والجغرافية الدينية، فماهي الجغرافية الدينية؟

---

[1] Chris.S Park, Sacred worlds An introduction to geography and religion ,Routledge, london and new york,1994,p18 .

[*] Todd M . Johonson, David B .Barrett : Missionary statistician ,International Bulletin of Missionary Research,vol36,NO1,p30 .

[*] دافيد باريت (David Barett): ولد في 30 أكتوبر 1997 في المملكة المتحدة اشتغل سنة 1954منصب قسيس في كنيسة إنجلترا و كما عُين في مهمة تبشيريه إلى كينيا إلى أن دعي في سنة 1962 إلى معهد الاتحاد اللاهوتي (Union theological Seminary) في نيويورك رفقة العديد من الباحثين وفيها تحصل على شهادة الدكتوراه سنة1995، تتميز بحوث دايفيد بالدعم الكبير للمهمات التبشيرية و الفهم العلماني للدين ومن أهم أعماله التي يعرف بها هو تأليفه لموسوعة العالم المسيحي (The World Christian Encyclopedia) التي مكث فيها عشر سنوات من التأليف و النشر. ينظر:

Todd M . Johonson, David B .Barrett : Missionary statistician ,International Bulletin of Missionary Research,vol36,NO1,p30 .

ب/ الجغرافية الدينية (Religious Geography):

تهتم الجغرافية الدينية بوظيفة الدين في تشكيل مفاهيم الإنسان عن العالم ومكان الإنسانية في هذا العالم، فهي أساسا تتضمن وظيفة المبادئ الدينية والكونيات (Theology and cosmology)، في فهم العالم.[1]

تسعى الجغرافية الدينية دائما إلى فهم الرؤية الدينية عن العالم كما لا تُعنى بفحص المعلومات الجغرافية الواردة في الأديان، بل تسعى إلى فهمها ووصفها كما جاءت في سياقها الديني، وعليه فهي دراسة وصفية بالأساس وقد تكون ممزوجة بالرؤى الدينية في الكثير من الأحيان.

أما عن جغرافية الأديان (geography of religions) فهي مجال بحثي أكاديمي يهتم بتأثير الأديان وتفاعلها في الثقافة والمجتمع بحيث تُعتبر الأديان في هذا النوع من الدراسات على انها منظومات إنسانية (لا علاقة لها بالغيب) تسعى فيها إلى كشف العلاقة بينها أي الأديان وبين الإنسان والفضاء المادي (الأرض بمفهومها الجغرافي).

التمييز بين هذين النوعين من المقاربتين لا يجعل جغرافية الأديان أهم من الجغرافية الدينية، بل هذه الأخيرة تُعد نوعا مهما من الدراسات. فالجغرافيا التي يحتويها عقل المتدين تُمكننا من معرفة الكيفية التي يُصور لنا إيمانه العالم الذي يعيش فيه ومكانته فيه، حيث أُطلق مصطلح (Geoteleology) أو (Geosophy) للدلالة على الجغرافية الدينية.[2]

يمكن تمييز الجغرافية الدينية عن جغرافية الأديان كون الأولى _الجغرافية الدينية_ تعتمد الوصف فقط مع الانتصار للرؤية الدينية، في حين أن الثانية _جغرافية الأديان _ تعتمد التحليل والنقد كما أنها لا تدافع ولا تبرر، حيث تتمحور دراساتها بالتركيز على الجانب الموضوعي في دراسة جغرافية الأديان واستعمال مناهج وآليات علم الجغرافيا في دراساتها.

[1] Chris.Parck , Op.cit ,p18 .
[2] IBID,pp18 ,19.

المطلب الثاني: المراحل التاريخية المؤسسة لمجال جغرافية الأديان:

تبين سابقا أن أول تفاعل بين الدين والجغرافيا يعود إلى الحضارات القديمة من بينها الحضارة الإغريقية والحضارة الإسلامية التي حفظت لنا أعمالا مهمة تُعد كإرهاصات في هذا المجال وعليه ستكون أهم المراحل لنشوء جغرافية الأديان بشكلها المنهجي كما يلي:

أ/ جغرافية الأديان في القرن 17/16م:

برز في هذه الفترة مصطلح الجغرافيا الكنسية (Ecclesiastical Geography) التي كانت تقوم أساسا على جرد ورسم الخرائط للمواقع المسيحية بحيث كان الدافع الإيماني في نشر المسيحية في العالم سببا رئيسيا في الاهتمام بهذا النوع من الأعمال.[1]

كان ذلك متزامنا مع الكشوفات الجغرافية التي من أحد مبادئها نشر الرسالة المسيحية في أقطار العالم، ويدل هذا على أن العامل الديني كان من أحد العوامل الدافعة لحركة الإنسان في نطاقه الجغرافي ورغبته في جعله يعكس نمط تفكيره وإيمانه.

ظهر خلال هذه الفترة (ق 16_17) ما يُسمى بالجغرافيا المسيحية للاهوت الشرقي (Theologically oriented christian geographes)، حيث كانت متمركزه في ألمانيا ويعود ذلك إلى أثر الحركة الإصلاحية المسيحية التي ظهرت في تلك المنطقة، وخاصة من خلال شخصية بروتستانتية هو (philipp Melanchthon) (1497 _1560م) الذي يُعد من احد زعماء الإصلاح في ألمانيا كما كان صديقا مقربا من "مارتن لوثر"، استطاع "فيلب " تأسيس مدرسة و جامعة لوثرية في أروبا تسمى بـ:

(The school and university system in Lutheran Europ) حيث تبنت هذه الجامعة تلك الدراسات الجغرافية و جعلتها جزءا من نظامها.[2]

استعمل لأول مرة مصطلح جغرافية الأديان سنة 1795 من قبل الجغرافي الألماني (Gottlieb Kasche) في كتابه المعنون بـ: (Ideas about Religiou Geography) ذلك في فقرة تكلم فيها عن علاقة جغرافية الأديان بالباحث المسيحي الذي يدرس الأديان وجغرافياتها، لكن على الرغم من كون (Kasche) أول من حدد هذا المصطلح لكن يبقى مؤلفه تحت التصنيف اللاهوتي بدلا من التصنيف الجغرافي، بينما يذهب البعض إلى اعتبار الفيلسوف

[1] Derek gregory and others, Op.Cit,p643.
[2] Chris Park ,Op.Cit,p9.

الألماني "إيمانويل كانط" (Immanuel Kant) 1724_1804 كمؤسس لموضوع جغرافية الأديان وذلك في كتابه المسمى:

(Religion wthin Boundaries of pure Reason) _الدين في حدود العقل_ حيث تناول الكتاب العديد من الأديان وفق سياقها الجغرافي، الاجتماعي، البيئي والثقافي أين اعتبره البعض أي الكتاب مصنفا ضمن جغرافية الأديان.[1]

ظهرت في هذه المرحلة الأولى من التأسيس مجموعة من المؤلفات المهمة المتعلقة بدراسة الدين من الناحية الجغرافية التي يمكن إجمالها في ما يلي:

1_ ABrief Description of the whole World, Greoge Abbot (1562_1633), Vice Chanellor of the University of Oxford and later Archbishop of Canterbury .

2_Microcosomus: or a little description of the great world (in 1621), by Peter Heylyn (1599_1633) former Master of Magdalen college .

3_ Cosmographie,published in 1652,by peter Heylyn.

4_Geography delineated forth,published in 1625,by Nathanael carpenter, (1589_1628) a leading post_reformation English Geographer.

5_Desriptio Regni Iapnia, Varenius, the first major work about non-Christian religions .[2]

تميزت المرحلة الأولى بكونها مرحلة مزدهرة بالتأليف والبحث تزامنا مع النهضة الأوربية والكشوفات الجغرافية، إلا أن هذه الأعمال يمكن تصنيفها تحت ما يسمى بـ: "الجغرافية الدينية" لكونها لا تخرج عن إطار التأليف من أجل الانتصار للمسيحية أو أن يكون الدافع للتأليف كنسيا بالأساس، لكن هذا لا يُنقص من قيمتها العلمية والتاريخية؛ بحيث كانت هذه المؤلفات الحجر الأساس في ظهور مجال معرفي يُسمى بجغرافية الأديان.

الحضارة الإسلامية تركت أعمالا جغرافية متعددة يمكن تصنيفها كعمل رئيسي ضمن هذه المصنفات المندرجة تحت موضوع الجغرافية الدينية مثل كتاب "المقدمة" لابن خلدون الذي تناول فيه مواضيع جغرافية (العمران) ممزوجة بالرؤى الدينية وأعمال الرحالة والجغرافيون المسلمون التي كانت مؤلفاتهم تدور في فلك الجغرافيا الدينية.

---

[1] Derek gregory and others, Op.Cit, p642.
[2] Chris Park, Op.cit,p10,11.

ب/ جغرافية الأديان في القرن 19م:

ظهر في أواخر القرن 18 وبداية القرن 19نوع من الدراسات يتبنى مقاربة ستكون سمة مميزة للمؤلفات الجغرافية آنذاك، هذه المقاربة تدعى بـ "الحتمية البيئية" (Environmental Determinism)؛ بحيث تسعى هذه المقاربة إلى تفسير طبيعة وتعدد الأديان من خلال خصائص البيئة التي ظهرت فيها.[1]

تذهب هذه المقاربة لتفسير اختلاف وتعدد الأديان إلى اختلاف البيئات والأقاليم الجغرافية نفسها، وتكون قدمت تفسيرا لإشكالية تعدد الأديان واختلافها، بحبث أرجعت ظهور الأديان إلى كونها نتيجة لحتمية بيئية _البيئة هي نتاج الدين_

ستكون هذه المقاربة الحجر الأساس الذي قام عليه التفسير المادي للدين، كما أغفل أصحاب هذه المقاربة العنصر الغيبي أو الماورائي الذي يُعد سمة مركزية بين الأديان جميعا، بحيث أن الجغرافيا تدرس آثار هذا العنصر (الغيب) ولا يمكنها دراسة جوهره مما يتعذر عليها إعطاء حكم بخصوص هذه القضايا.

ظهرت في سنة 1920 دراسة لـ «ماكس فيبر" * (MAX WEBER) شكلت تحديا للمقاربة الحتمية بحيث ذهب "فيبر" إلى ضرورة عدم إغفال تأثيرات الأديان في النظام الاجتماعي والاقتصادي والتي تؤثر بدورها في شكل البيئة والأرض، ومن خلال هذه المقاربة التي قدمها "ماكس فيبر" ذهب بعض الباحثين إلى اعتبار الأزمة البيئية التي يمر بها العالم (التلوث بكل أشكاله) يمكن ردها إلى نتيجة الايمان بالعقيدة المسيحية التي ترى أن الرب أعطى سلطة للإنسان على الأرض.[2]

استغلال مقاربة فيبر من اجل اعتبار دين معين مسؤولا عن الكارثة البيئية التي يعيشها الانسان المعاصر يُعد خروجا عن آليات البحث الممنهج، بحيث لا يُمكن التغاضي عن النصوص الدينية التي تدعوا إلى عدم الفساد في الأرض واحترام البيئة وتحميل الانسان كامل المسؤولية، مع استحضار تأثيرات الثورة الصناعية في البيئة وأهم مخلفاتها.

---

[1] Derek gregory and others ,Op.Cit,p643 .

[*] ماكس فيبر (Max Wiber): **1864_1920 عالم اجتماع و اقتصادي ألماني،من أهم مؤلفاته** (Protistant Ethics).
ينظر موقع: https://www.britannica.com/biography/Max-Weber-German-sociologist

[2] IBID, p643.

بعد ظهور مقاربة "فيبر "ذهب بعض الباحثين الى ضرورة اعتبار علم الأديان (Science of religion) يهتم اساسا بسؤال كيف تؤثر البيئة في الأديان بمعنى تفعيل المقاربة الحتمية في هذا الحقل المعرفي، أما جغرافية الأديان فهي تهتم بسؤال كيف تؤثر الأديان في البيئة أي تفعيل مقاربة فيبر في هذا المجال البحثي.[1]

تميزت كذلك هذه المرحلة الثانية من التأسيس بظهور مدراس خاصة بالجغرافيا مثل المدرسة الألمانية (German school) والمدرسة الفرنسية التي بقيت تتبنى المقاربة الحتمية في دراساتها، وفي أمريكا ظهرت المدرسة الأمريكية لجغرافي الأديان (school of American Geographers of religion) أما عن المدرسة الإنجليزية فإنها لم تقدم شيئا يُذكر مقارنة بما قدمته المدرسة الأمريكية و الألمانية.[2]

وعليه فقد برز في الفترة المعاصرة العديد من الصراعات السياسية التي يكون لها أبعاد دينية مثل ظهور مصطلح "الإرهاب" (TERRORISM) و"الصهيونية" (Zionizm) والعنف الديني الذي يعلب دورا كبيرا في تشكيل المجتمعات وإعادة تقسيمها ما جعل جغرافية الأديان تخصصا مهما يفتح نقاشا جديدا للجغرافيين عن الدين.[3]

برزت خلال هذه المرحلة العديد من المؤلفات يمكن إيراد بعضها كما يلي:

1_Reviews of religion and geography,by Delarulle (1943) and Le bras (1945).

2_ Geograhie et Religion(1948),Pierre Deffontaines (1953).

3_ Study of the religious Geography of the untied states. based on patterns of church,Zelinsky(1961).

4_ Study of the religious Geography of Scotland ,Piggott (1980).

5_ The rol of the Church in alleviating poverty, Urban Fund by Pacione (1990_1991).[4]

---

[1] Chris Park, Op.cit,p 17 .

[2] IBID, p17,18.

[3] Derek gregory and others ,Op.Cit,p643.

[4] Chris Park,Op.cit,p17,18

المبحث الثاني: الجغرافيا المقدسة والمقاربات الجغرافية للدين:

المطلب الأول: مصطلح الجغرافيا المقدسة:

يرى بعض الباحثين أن مفهوم الأرض والانتساب إليها موضوعا مهما للبحث بالنسبة لجغرافية الأديان وخاصة ما تتضمنه الأديان من نصوص مهمة تتحدث عن الأرض وعلاقتها بالإنسان، بل أحيانا ربط هذه العلاقة بين الأرض والانسان بوعد إلهي لشعب من الشعوب وأحقيته بهذه الأرض دون غيره.

تُبين العلاقة بين الأرض والانسان الدور البارز الذي يلعبه الدين في تشكل مفهوم الانسان عن الأرض وفي الغالب يتم ربط هذا المفهوم بهويته وتاريخيه إلى أن يصل الأمر إلى إضفاء صفة المقدس عليها.

أدى هذا الموضوع إلى ظهور مصطلح الجغرافيا المقدسة (Geography Sacra) الذي يهتم بتحليل وتفكيك كل ما يتعلق بمفهوم وطبيعة الأرض المقدسة في الأديان.

أ/ تاريخ مصطلح الجغرافيا المقدسة:

مصطلح الجغرافيا المقدسة مصطلح مرتبط بنصوص الكتاب المقدس وخاصة ما يُعرف بربط موضوع العقيدة بالأرض، حيث تقوم الجغرافيا المقدسة على ما يُسمى بإعادة بناء جغرافية الكتاب المقدس وترجمة نصوصه إلى خرائط، وعليه لم يكن هذا النوع من الدراسات جديدا بالنسبة للتراث اليهودي والمسيحي.

ميَّز المؤرخ الأغريقي المسيحي "يوسيبوس" (Eusebus of casearea) في القرن الرابع ميلاد أهم مميزات الجغرافيا المقدسة في كتابه المعنون(Onomasticom)الذي بعثه إلى اسقف "تير" (Tyre)*

حيث عدد فيه أهم عناصر الجغرافية المقدسة آنذاك، بداية بترجمة الأسماء العبرية في الكتاب المقدس وخاصة أسماء الأماكن وتقسيمها ثم مقارنة هذه الأسماء بالتسميات القديمة، وأخيرا ترتيبها ترتيبا أبجديا.[1]

* تير (tyre): مدينة "صور" حاليا في لبنان.

[1] Zur Shalev,Sacred Words and Worlds Geography, Religion, and Scholarship, 1550–1700, Mordechai Feingold California Institute of Technology,volum 2, LEIDEN BOSTON ,2012,p3.

جمع هذه العناصر يستدعي كون هذا العمل مثمنا من جهة كونه قديما وأنه نوع من الممارسة أو التأليف الأول في مجال جغرافية الأديان عامة والجغرافيا المقدسة خاصة، لكن هذا العمل يقوم أساسا على غرض لاهوتي وهو التأليف لخدمة تراث ديني معين (التراث اليهودي والمسيحي عامة).

وإن إضفاء مفهوم المقدس على مساحة جغرافية معينة وتمييزها عن باقي الأماكن الجغرافية يكون بجعله متشبعا بالمعاني المتعالية (transcendent spiritual quality) وتحديدها يكون بالممارسات الطقوسية التي يقوم بها بعض الأشخاص في هذه الأماكن.[1]

يعتبر الباحث الروماني الأصل مرسيا إلياد (Mircea Eliade1986_1907) أن إضافة المعنى المقدس على الأرض يكون من خلال مرور شخصيات دينية (أنبياء، حكماء، زعماء روحيون، ...) بتجربة روحية مقدسة في مكان معين يُكسب هذا المكان صفة المقدس أو من خلال تجلي بعض الأصوات في السماء، علامة أو حيوان أو كائن روحي من خلاله يُحدد هذا المكان على انه مقدس.[2]

ينتقل المكان من كونه لا يحمل أي قداسة حتى يتحول إلى مكان مقدس لحدوث علاقة روحية متعالية بين الانسان والمكان الذي قد يستوطنه أو يجعله موقعا مقدسا لأداء الطقوس الدينية.

تُشير الدراسة إلى مصطلح جغرافية الكتاب المقدس* لما له من علاقة وطيدة بالجغرافيا المقدسة حيث اختلف بعض الباحثين في ماهية المصطلحين وهل هما يعبران عن نفس المعنى؟

ذهب الرأي الأول إلى اعتبار الجغرافيا المقدسة دراسة خاصة لكل المواقع الجغرافية المقدسة المذكورة في الكتاب المقدس، أما جغرافيا الكتاب المقدس فهي تهتم بكل المواقع والمناطق الجغرافية المقدسة المذكورة في الكتاب المقدس.

---

[1] Derek gregory and others , Op.Cit,p661.

[2] IBID,p661 .

* الكتاب المقدس: مجموعة من الاسفار المقدسة التي تؤلف قانون الكتب المقدسة بعهديها القديم و الجديد، ينظر صلاح قنصوة وآخرون، قاموس أديان معتقدات شعوب العالم، درا الكلمة Logos، ص410.

أما الرأي الثاني فقد اعتبرهما شيئا واحدا وأنهما يحملان نفس المعنى وهذا الرأي ظهر في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وخلال هذه الفترة حدث خلط بين المصطلحين في كونهما شيئا واحدا.

الرأي الثالث ذهب إلى أن استعمال المصطلحين على سياقات مختلفة ومنها كون الجغرافيا المقدسة وجغرافيا الكتاب المقدس تحمل نفس المدلول في كون الكتاب المقدس المرجع الوحيد للمادة الجغرافية حول الأرض المقدسة، لكن هذا الرأي لم يسلم من النقد بل ذهب بعضهم إلى أن المؤلفات التاريخية التي ألفت من قبل مؤرخين وثنيين أو غيرهم قد ساهمت كتاباتهم في إعادة رسم خريطة الكتاب المقدس، وخلال عصر النهضة فقد أُستخدام مصطلح الجغرافيا المقدسة للدلالة على الجغرافيا الكنسية _التي أشرنا إليها سابقا_ وفي الفترة المعاصرة بدأت الدراسات الجغرافية تفرق بين المصطلحين.[1]

الجغرافية المقدسة تهتم في كيفية كون الأرض سجلا وثائقيا ان صح التعبير للأنظمة الدينية ومؤسساتها كما تهتم بربط الظواهر الطبيعية التي تحدث خلال مراحل زمنية معينة مؤثرة في شكل الأرض وربط هذا التأثير بما يتبعه من سلوك ديني تجاهها.[2]

وإن أي إضافة لمعاني المقدس على الأرض يتم ربطه دائما بما يحدث في الطبيعة من ظواهر قد تؤثر مباشرة في الانسان وخاصة إذا كان ينظر إلى الطبيعة نفسها على أنها تجلي للقدرات الإلهية فيها، وعليه فإن كل حركة فيها تكون نتيجة لهذا التجلي المقدس، ومن هنا يبدأ أول إحساس بحضور المقدس على مكان جغرافي معين دون غيره.

استعمال الأرض مثلا لأغراض الدفن والمقابر وبعض الحيوانات والنباتات المستعملة للطقوس الدينية قد يُعد ذلك من بين التأثيرات والمظاهر التقليدية للأنظمة الدينية على الأرض.[3]

---

[1] Zur Shalev, Op. Cit, p6,7.

[2] دافيد سوفير، جغرافية الأديان، تر أحمد غسان سبانو، دار قُتيبة، بدمشق، بيروت،ط1، 1990، ص43.

[3] المرجع نفسه، ص43.

تنبه الباحثون من خلال هذه العلاقة بين المقدس والأرض والانسان إلى أهمية الجغرافيا المقدسة في تقديم قراءة صحيحة للكتاب المقدس، حيث أشار بعضهم إلى أن أي قراءة صحيحة للكتاب المقدس يجب أن ترتكز أساسا على جغرافية صحيحة، كما اقترح باحثون آخرون إلى ضرورة استخدام الخرائط والنماذج الكوزموغرافية (Cosmographies) في دراسة الكتاب المقدس، ومن الدارسين من سخر من بعض التفاسير التي حولت بعض أسماء المدن المذكورة في الكتاب المقدس إلى فواكه ومجوهرات وأسماك لكونها متأثرة حسبهم بالتيار الغنوصي.[1]

الإشارة إلى كل ما يخص الجغرافيا المقدسة وعلاقتها بالكتاب المقدس يطرح تساؤلا حول الغياب التام للدراسات الإسلامية في هذا المجال وخاصة أن التراث الإسلامي حافل بالأحداث التاريخية والأماكن الجغرافية التي تستلزم البحث والتنقيب مع ربطها بالتراث الديني للآخر.

المطلب الثاني: الدين من خلال المقاربات الجغرافية:

يُعتبر الدين مادة خصبة للبحث والولوج إلى أعماق الظاهرة الدينية بحيث لم يعد حبيسا للدراسات اللاهوتية فقط، بل أضحى موضوع بحث لجميع الميادين الإنسانية والعلمية.

برزت خلال الفترة المعاصرة مقاربات عديدة في شتى الميادين تحاول فهم وتحليل الظاهرة الدينية من خلال أدواتها الخاصة، فظهر ما يُسمى بالمقاربات النفسية للدين، والمقاربات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

يُعتبر ميدان الجغرافيا البشرية عامة وجغرافية الأديان خاصة الدين عاملا أساسي في المقاربات الجغرافية بحيث يستدعي البحث الجغرافي ربط العوامل البشرية التي من أحد فروعها الدين بالجانب الجغرافي وكشف التفاعل الحاصل بينهما.

[1] Zur Shalev,Op .Cit,p 8

أحد أهم هذه المقاربات في تاريخ الجغرافيا البشرية هي:

أ/المقاربة الحتمية:

ظهرت المقاربة الحتمية منهجيا خلال القرن التاسع عشر، حيث تعتبر المقاربة الانسان مجرد كائن محكوم بالظروف الطبيعية والبيئية المحيطة به، فحياته الاجتماعية والنفسية والاقتصادية ماهي إلا انعكاس للظروف الجغرافية التي يقطن فيها.[1]

الحتمية البيئية (Envireonmental determinism) تعتبر الانسان مجرد وعاء منفعل فقط بحيث لا دور له في التأثير على البيئة (Passive agent) كما انها هي التي تُحدد أسلوب حياته.[2]

تم اختيار المقاربة الحتمية في الدوائر الجغرافية منهجا للدراسات الجغرافية بداية من القرن التاسع عشر لكن جذور هذا النوع من التفكير يعود إلى المدونات الجغرافية القديمة بداية من المرحلة الاغريقية فنجدها في أعمال الجغرافيين والفلاسفة الإغريق.[3]

يُعد الفيلسوف الإغريقي" أرسطو " (ARISTOTLE) نموذجا قديما لهذه المقاربة. حيث ربط أرسطو بين تأثير المناخ على طبائع الشعوب واصفا سكان البلاد الاوروبية الباردة بالشجاعة لكن ينقصهم الفهم والمهارة والتنظيم السياسي، مما جعلهم غير قادرين على السيطرة على سواهم، بينما سكان آسيا حكماء ولكن تنقصهم الجرأة والشجاعة مما جعلهم في أغلب الأحيان محكومين بغيرهم عبيدا لسواهم، أما الإغريق كونهم يعيشون في منطقة وسط فهم يجمعون بين فصائلهم.[4]

المقاربة الحتمية تبدوا واضحة في كلام أرسطو بحيث اختزل جميع الطبائع البشرية على أنها نتيجة لحتمية بيئية لا غير.

محاولة فهم الظاهرة الدينية من خلال كلام "أرسطو" ومقياسه الحتمي يؤدي إلى عنصرين:

أولا: اعتبار أديان أوروبا القديمة وبما تمتاز في تاريخها من دعوة إلى الحروب بين القبائل الأوروبية راجع إلى طبيعة الجنس الأوروبي المتأثر بالمناخ البارد الذي يولد نوعا من الجرأة والشجاعة في مواجهة الغير.

---

[1] عبد الله عطوي، مرجع سابق، ص25.

[2] Hiral lal yadav and Stira Sinha, Founfamentals Of Human Geograpgy,National Council Of Eductional Reaserch And trainin, editor R .p Misra ,p6 .

[3] IBID , p 6 .

[4] عبد الله عطوي، مرجع سابق، ص 26.

ثانيا: سكان آسيا وبما تمتاز أديانهم من نصوص تدعوا إلى التسامح والحكمة فهذا راجع حسب "أرسطو" إلى طبيعة الانسان الآسيوي المتأثر ببيئته التي جعلته حكيما متسامحا ومن جهة أخرى تنقصهم الشجاعة والجرأة مثل الشعوب الأوروبية.

تبقى الأنا الأرسطية المستعلية ان صح التعبير واضحة في جعل الحضارة الإغريقية مركزا وسطا ونموذجا مثاليا أفضل من تلك التي سبق ذكرها.

لم تقتصر المفاهيم الحتمية فقط في التراث الاغريقي بل انتقلت إلى المؤلفات الإسلامية من خلال جغرافيين ومؤرخين بارزين في التراث الإسلامي، حيث نجدها واضحة في أعمال المسعودي والإدريسي وابن خلدون.[1]

حيث يُعتبر النموذج الخلدوني وتطبيقه للمفاهيم الحتمية في كتابه "المقدمة " كإشارة واضحة لما يُسمى بموضوع جغرافية الأديان.

تعرض ابن خلدون لجزئية حساسة في التراث الإسلامي وهي" **جغرافية انتشار النبوة"** التي لم تعالج في التراث الإسلامي بالطريقة التي عالجها ابن خلدون في مقدمته.

قبل تحليل نموذج ابن خلدون حول تفسيره لانتشار النبوة لابد من ذكر السياق الذي أشار فيه ابن خلدون في مقدمته على هذه الجزئية حيث يقول:

(...أما الأقاليم البعيدة عن الاعتدال مثل الأول والثاني والسادس والسابع فأهلها أبعد من الاعتدال في جميع أحوالهم ...وكذلك أحوالهم في الديانة أيضا، فلا يعرفون نبوة ولا يدينون بشريعة إلا من قرب منهم من جوانب الاعتدال، وهو في الأقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الدائنين بالنصرانية من أمم الصقالبة والإفرنج والترك من الشمال ومن سوى هؤلاء من أهل تلك الأقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم، وجميع أحوالهم بعيدة من أحوال الأناسي قريبة من أحوال البهائم...)[2]

النموذج الحتمي في تفسير انتشار النبوة جغرافيا يُظهر جليا مسألة تأثر ابن خلدون بهذا النوع من المفاهيم، حيث ربط مسألة النبوة والشريعة بالجوانب المعتدلة من الأقاليم المناخية وهذا الطرح ليس مختلفا كثيرا عن المقاربة الأرسطية في تفسير طبائع البشر وربطها بالمناخ.

---

[1] Hiral lal yadav and Stira Sinha, Op.Cit ,p6 .

[2] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة،ج1،دار العرب، دمشق، ط1، 2004، ص190.

ربط مقاربة ابن خلدون بالنموذج القرآني في انتشار النبوة يطرح سؤالا مهما جدا وهو كيف فهم ابن خلدون الآيات القرآنية التي جاءت مؤكدة على انه ما من قوم إلا وقد عرفوا رسالات نبوية؟

الأمر الثاني علم الأديان يُفند ما ذهب اليه ابن خلدون في وجود مجموعات بشرية لم تعرف نوعا من التدين، بل تاريخ الأديان يؤكد محورية الدين في المجتمعات البشرية القديمة.

وقع ابن خلدون من خلال مقاربته في مغالطة اختزال مفهوم الدين من خلال ما هو معروف في وسطه الحضاري فقط، دون أن يُشير إلى كونه عنصرا متنوعا وأن الأنظمة الدينية والممارسات الطقوسية تختلف اختلاف المجتمعات البشرية.

ذهب رجال الدين المسيحي خلال العصور الوسطى إلى ربط وتفسير الفروق البشرية والطبيعية من عمل الله، وأن تفسيرها بغير تفسير الكتاب المقدس والكنيسة يُعتبر خروجا عن الدين ولذلك فهي غير قابلة للدراسة والبحث.[1]

وإن المتفحص للكتاب المقدس يجد نوعا من التفسير الديني لأحد الظواهر البشرية الضاربة في القدم التي لها علاقة مباشرة بالجغرافيا البشرية، التي تدعى بظاهرة انتشار العبيد والرق.

جاء في سفر التكوين على لسان النبي نوح ما يلي: (...ليكن كنعان ملعونا وليكن عبد العبيد لإخوته، ثم قال تبارك الله إله سام وليكن كنعان عبدا له، ليوسع الله ليافث فيسكن في خيام سام وليكن كنعان عبدا له...)[2]

ظاهرة استعباد البشر وانتشارها في أغلب المناطق الجغرافية يدعوا لا محالة إلى ربط التبرير الديني من خلال الكتب المقدسة بهذا الانتشار الواسع، وهذا يستدعي الرجوع إلى استقراء تفاسير الكتب الدينية ككل بحيث أن لغة الكتب المقدسة تحتمل تأويلات عدة، لكن هذا يؤكد دائما محاولات لاستغلال النصوص الدينية لإعطاء شرعية دينية على السلوك البشري.

[1] عبد الله عطوي، مرجع سابق، ص26

[2] الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح 9، العدد 25، 26، 27.

بقي النموذج الحتمي مستقرا في المؤلفات الجغرافية للعصر الحديث حيث نجد مؤسس الجغرافيا البشرية الألماني "فريديريك راتزل" (Ratzel) يُشير إلى جغرافية الانسان وأنماط توزع البشر حسب السلالة والدين واللغة وشرح ذلك من خلال الرجوع إلى العوامل البيئية الطبيعية.[1]

بلغت الحتمية الجغرافية ذروتها أثناء ظهور نظرية التطور في القرن التاسع عشر حيث حاولت النظرية تفسير تطور الكائنات الحية تفسيرا طبيعيا وتُبين أن العلاقة بين الكائنات الحية والبيئة علاقة تكيف وملائمة، ما أكد الرؤية الحتمية من الناحية الطبيعية والبيولوجية وأن التكيف مع البيئة عملية مادية حتمية لا يملك الكائن الحي إزائها شيئا، بل إن البيئة تختار الافراد الذين تتلاءم صفاتهم مع ظروفها اختيارا طبيعيا وتترك غيرهم للفناء، ظلت هذه المقاربة سائدة في القرن التاسع عشر على الرغم من كونه قرن الهجرات البشرية والاستيطان الاستعماري الذي أدى بحدوث تغير بيئي كبير يعود سببه الأول إلى العامل البشري.[2]

موجة التغيرات التي بدأت في القرن التاسع عشر والتي كان الانسان هو العامل المؤثر فيها، ألزم بعض الباحثين من مختلف المجالات إعادة النظر فيما يُسمى بالمقاربة الحتمية البيئية.

جاء نقد هذه المقاربة على مستويين هما:

المستوى الأول: وجود بعض النماذج البيئية التي كانت تتشابه من حيث الشروط البيئية والجغرافية غير أن نتائجها كانت مختلفة إلى حد بعيد حيث أشار البعض منهم إلى الحضارة الاغريقية والرومانية التي كانت تتمركز على شريط جغرافي وبيئي واحد (المنطقة المتوسطية) اي أنها تتوفر على نفس الشروط الحتمية لكن نتيجتها بين حضارة إلى أخرى تختلف اختلافا شاسعا ما يؤكد وجود عامل آخر يتجاوز الشروط الحتمية(العامل البشري)

المستوى الثاني: تغافل هذه المقاربة عن تأثير الانسان في البيئة فكما أن البيئة تؤثر فيه فهو كذلك يؤثر فيها وعلى مستويات عدة وأحيانا ما يُحاول فرض سيطرته عليها.[3]

---

[1] فتحي محمد أبو عيانة ، دراسات في الجغرافيا البشرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1989.ص17.

[2] المرجع نفسه، ص16. 20.

[3] Hiral lal yadav and Stira Sinha, Op.Cit ,p6,7.

ب/المقاربة الإمكانية (Possibilism):

يعود أول استخدام لمصطلح الإمكانية إلى الجغرافي لوسيان فيبر (Lucian Febrre) ناقدا النظرية الحتمية بقوله: (...ليس هناك حتميات بل يوجد إمكانيات والانسان هو سيد هذه الإمكانيات والمتحكم فيها...)[1]

تجعل هذه المقاربة الانسان كعنصر فاعل وليس منفعل كما في المقاربة الحتمية.

حيث ترى الإمكانية الجغرافية الانسان هو المتحكم في شروطه الجغرافية ويختار من إمكانياتها ما يشاء تبعا لمستواه الحضاري، ولذا فإن أنماط النشاط الاقتصادي على سطح الأرض هي نتائج لتفكير الانسان ومجهوده وحركته الدائبة في إطار بيئته الطبيعية.[2]

يُعتبر الدين حسب هذه المقاربة عاملا رئيسيا في التأثير على الجغرافيا المكانية للإنسان، بل يصل إلى كونه محددا لأسلوب حياته وتفكيره على خلاف المقاربة الحتمية.

العامل الديني قد يكون أحيانا العامل الوحيد في استيطان البشر لمنطقة معينة بحيث تُعتبر ظاهرة "الحج" في التاريخ البشري أفضل مثال لكون الدين عاملا رئيسيا في التأثير على الجغرافيا المحيطة بالإنسان.

الهجرات الدينية الأولى مثلا من بريطانيا في القرن 17 ساعد في تزايد الكثافة السكانية في الساحل الأمريكي الشرقي ويشبه ذلك إلى حد كبير استيطان ولاية "يوتاه" (Utah) وعاصمتها لايك سيتي (lake city) التي هاجر إليها جماعات من المورمون (Mormons)* في منتصف القرن 19، ولا ننسى كذلك أثر الهجرات الدينية في استيطان المناطق الصحراوية كتأثير مكة المكرمة والمدينة المنورة على تزايد الكثافة السكانية في منطقة الحجاز.[3]

يقول لوسيان فيبر (Lucian Febrre): (...ما يصدق على الطرق التجارية يصدق كذلك على الطرق الدينية، فالناس لا يتنقلون من مكان إلى آخر لغرض التجارة فحسب، بل تدل أقدم وثائق التاريخ أن الانسان كان يقطع المسافات الطويلة لكي يحج إلى المراكز الدينية...)[4]

---

[1] Hiral lal yadav and Stira Sinha, Op.Cit ,p7

[2] فتحي محمد أبو عيانة، مرجع سابق، ص20، 21.

* المورمون: مؤسسها جوزيف سميث(Joseph Smith) في الولايات المتحدة الامريكية من أحد معتقداتها ظهور السيد المسيح في أمريكا و أنه سينشأ أورشليم جديدة هناك ، ينظر،جون هينليس، مرجع سابق، ص466، 465.

[3] المرجع نفسه، ص117

[4] لوسيان فيفر، الأرض و التطور البشري، تر محمد السيد غلاب، المركز القومي للترجمة، ج2، ط2015، ص187,

يدل هذا على محورية العامل الديني في التأثير على شبكة الطرق الجغرافية والتي ترتبط أساسا بالطرق التجارية، فازدهار التجارة يُصاحبه دائما ازدهار في المراكز الدينية ولكون الدين عنصرا فعالا في تأسيس ما يُسمى بظاهرة الأسواق التجارية.

الدافع الديني الذي يكون مرتبطا بإمكانيات الانسان وراء كل الحركات الجماعية ووراء المنشآت العديدة مثل الموانئ والأديرة والصناعات الأخرى، فمدلول حركة الحج كان لها أثر كبير في تعبيد الطرق، كطرق "سانت جيمس" الشهيرة التي أدت فيها حركة الحج الديني إلى ازدهارها من حيث التجارة والملاجئ التي تفتح أبوابها للحجاج وتكوين جمعيات ونظم دينية وحربية وغيرها، ومثله كذلك في البلاد الإسلامية ويظهر هذا في مراكز الحج في مكة وأيام الزيارات على قبور الصالحين في القيروان وتلمسان .[1]

المقاربة الامكانية تعطي للظروف البشرية _ والتي يكون فيها الدين عنصرا مهما_ أهميتها في الاستجابة للظروف الطبيعية، فليس هناك حتمية ضرورية لشعب أن يعيش في بيئة معينة وأن يتأثر بها بصفة معينة ولكن من الممكن له أن يستجيب من بعض الوجوه.[2]

تصدى عالم الاجتماع دوركايم والجغرافي الأمريكي جبفرسون (Jefferson) على المقاربة الحتمية وأرجعوا الاختلافات في المجموعات البشرية في البيئات المتشابهة إلى طبيعة الانسان وقدراته الحسية والفكرية ونظامه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني، وعليه لا يجب أن ننظر إلى الجغرافيا في جوانبها البشرية على أنها قطعة أرض تؤثر في الانسان بل على أنها دراسة للإنسان متفاعلا مع البيئة ومستغلا لها.[3]

أصبحت المقاربة الامكانية السمة الرئيسية التي تمتاز بها البحوث الجغرافية البشرية المعاصرة.

يمكن اعتبار قوة المقاربة الامكانية في كونها لا تنفي الشروط الحتمية من أساسها بل تذهب إلى القول دائما بأن هناك شروطا تتجاوز الشروط الحتمية.

[1] لوسيان فيفر، مرجع سابق ، ص188، 190

[2] عبد الله عطوي، مرجع سابق، ص28، 29..

[3] المرجع نفسه، ص31، 34.

تظهر طبيعة البحوث الجغرافية التي تتبنى هذه المقاربة بحيث تعمل دائما على اعتبار الشروط الحتمية شروطا يمكن تجازوها في كل حال ولا تحاول نفيها أو استبعادها، في حين أن المقاربة الحتمية تنفي أو تستبعد أي شروط بشرية في التحكم أو في خلق بيئة تلائم تفكيره بحيث تعتبره مجرد وعاء لها ولضروراتها البيئية لا أكثر.

العامل الديني بالنسبة للمقاربة الحتمية مجرد نتاج للشروط الجغرافية (مناخ وأقاليم وموقع جغرافي...) بحيث أن نفس الشروط الحتمية تنتج نفس الظواهر الدينية، في حين المقاربة الامكانية تنظر إلى العامل الديني كعامل منتج للجغرافيا البشرية ومؤثر في البيئة البشرية ولهذا فإن المقاربات الجغرافية تعد أساسا منهجيا في موضوع جغرافية الأديان وإن أي دراسة في الجغرافيا البشرية لا بد وأن تنتمي إلى احدى تلك المقاربتين الجغرافيتين.

الخاتمة:

الجغرافيا والدين عاملان أساسيان في الحركة الإنسانية بل ومحددان رئيسيان لتطوره الحضاري والفكري، بحيث أن كل تفاعل يقع للإنسان مع محيطه يلزم منه تفاعل بين الثنائية الجغرافية والدينية.

أشارت الفرضية الأولى عن وظيفة جغرافية الأديان فكشفت الدراسة في ثناياها عن التفاعل الواقع بين الدين والجغرافيا بحيث تبحث جغرافية الأديان على تحليل وبحث المادة الجغرافية من خلال وسائل علم الجغرافيا الحديثة وغالبا ما يتم نقد المعلومات الجغرافية الواردة في الدين اعتمادا على المناهج الجغرافية وآليات البحث في مجال علم الجغرافيا، أما بخصوص الجغرافيا الدينية فهي تهتم أساسا بوصف الجغرافيا التي تحتويها الأديان وكيف يُصور لنا المؤمن محيطه الجغرافي من خلال نصوصه الدينية.

الفرضية الثانية طرحت إشكالية نسبية العلوم ومن ضمنها علم الجغرافيا بحيث أن المقاربات الجغرافية تُعد مجالا لم يُفصل فيه من الناحية المنهجية؛ وإن ربط هذه المقاربات بمجال جغرافية الأديان يؤدي لا محالة إلى استصحاب عنصر النسبية في أبحاثها مما يجعل بعض نتائجها تُصنف تحت الفرض العلمي لصعوبة فرز وتفسير المادة الجغرافية في الأديان ولكون لغة النصوص الدينية تحتمل تأويلات عدة، ومن جانب آخر ضرورة تثمين هذه البحوث كونها تحاول دائما فهم الظاهرة الدينية من خلال آليات منهجية تسعى فيها دائما مقاربة الموضوعية في كامل نتائجها.

إن ثراء مجال جغرافية الأديان أنتج موضوعا خاصا به هو موضوع إضفاء صفة المقدس على الجغرافيا بكل أنواعها (أرض، جبال، معابد، مساجد..) بحيث تُكسب المكان هالة مقدسة تجعله محورا ومركزا مهما لأهم الطقوس الدينية التي يُمارسها الانسان في حياته.

وإن عدم مواكبة العالم الإسلامي لمثل هذه الدراسات الذي يجعله ضعيفا أمام التدفقات المعرفية الغربية؛ وخاصة ما تركه الجغرافيون المسلمون فإنه يستدعي فحصا لها ودراسات حولها ضمن مجال جغرافية الأديان، ولما لا فتح تخصص بأكمله يعالج مثل هذه القضايا الحديثة والتي تُعد خطيرة في بعض الأحيان ذلك إن ترأس مثل هذه التخصصات باحثون لا يملكون أدوات لفهم كتب العلماء ما يؤدي إلى نتائج كارثية.

قائمة المصادروالمراجع:

أ/ المراجع باللغة العربية:

1_أبو عيانة فتحي محمد، دراسات في الجغرافيا البشرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1989.ص17.

2_الكتاب المقدس، النسخة العربية الجديدة (NAV) طبعة 2012

3_بن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، الجزء1، دار العرب، دمشق، الطبعة1، 2004

4_بيار جورج، معجم المصطلحات الجغرافية، ترجمة محمد الطفيلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة 2002.

5_دراز عبد الله، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم الكويت، مطبعة الحرية، بيروت.

6_سوفير دافيد، جغرافية الأديان، تر جمة أحمد غسان سبانو، دار قُتيبة، بدمشق، بيروت، الطبعة1.

7_عطوي عبد الله، الجغرافية البشرية صراع الانسان مع البيئة من الانسان القرد إلى الانسان العاقل، دار النهضة العربية، الطبعة1996، بيروت.

8_فيفر لوسيان، الأرض والتطور البشري، تر محمد السيد غلاب، المركز القومي للترجمة، الجزء2، الطبعة2015.

9_قنصوة صلاح وآخرون، قاموس أديان معتقدات شعوب العالم، درا الكلمة Logos، ص410.

10_ محمد سرحان علي المحمودي، مناهج البحث العلمي، دار الكتب، صنعاء، ط3، 2019.

11_هينليس جون، معجم الأديان الدليل الكامل للأديان العالمية، ترجمة هاشم أحمد محمد، الطبعة 1، 2010.

ب/ المراجع باللغة الأجنبية:

1_ Arthur Mitzman, Max Weber German sociologist,websit : https://www.britannica.com/biography/Max-Weber-German-sociologist

2_Binjamin F. Timms.B.A,M.A, Geography G110 introduction to Human geography,Indiana University, School of continuing studies indepndent study program,2004

3_Chris park ,Religion and geography, Routledge companion to the study of religion London :routeledge ,2004.

4_Chris.S Park,Sacred worlds An introduction to geography and religion ,Routledge,london and new york,1994.

5_Derek gregory and others ,The dictionary of Human Geography , ,Wiley Blackwell publishing,printed in sangapor,in 2009.

6_Hiral lal yadav and Stira Sinha, foundamentals Of Human Geography,National Council Of Eductional Reaserch And trainin, editor R .p Misra

7_Jhon.R Hinnells,The Routledge companion the study of religion ,Routledge Taylor and Francise Groupe, 270 Madison Ave, New York,2005.

8_Lily Kong,Geograohy and Religion :Trends and Prospects, Institutional knowledge at Singapore Management university ,September,1990.

9_Oxford Learners Pocket Dictionary ,Oxford University Press ,Fourth Edition.

10_Todd M . Johonson, David B .Barrett : Missionary statistician ,International Bulletin of Missionary Research,vol36,NO.

11_Zur Shalev,Sacred Words and Worlds Geography, Religion, and Scholarship, 1550–1700, Mordechai Feingold California Institute of Technology,volum 2, LEIDEN BOSTON ,2012